قال ذلك وقال ما هو اكثر منهُ لانهُ كان مخلصاً لخطأ في اعتقادهِ وخطأ في نتائجهِ ثم رأى نتيجة خطاهِ بعينهِ وقعد نادماً على ما بدر منهُ ولات ساعة مندم . والآن تجني المانيا نتائج خطاهِ وخطا غيرهِ من الذين علموها ان تمتلك الناس بالسيف لكي تعبرهم فلاسفة ويشاركوا في مضار ما جنتهُ اهالي اوربا كلهم واهالي المستعمرات اجمع

الكسل

نشر الكاتب الاميركي ادنكتون بروس مقالة في الكسل في مجلة مككور فرأيت ان اعربها لما فيها من الفوائد العلمية والعملية قال : —

قرأت بعض المؤلفات العلمية الحديثة في التعليم فرأيت فيها قولين متناقضين في الكسل اولهما ان محبة العمل والاجتهاد خلة يكتسبها الانسان اكتساباً وليست طبيعية فيهِ لان ميلهُ الطبيعي يدفعهُ الى السير في الجهة التي يلقى فيها اقل ما يمكن من المقاومة . وثانيهما ان محبة العمل فطرية في الانسان ولكنهُ يكتسب الكسل اكتساباً

ولدى القائلين بكلٍّ من القولين شواهد عديدة يستندون اليها . فالطفل كثير الحركة لا يهدأ ابداً فيصرف النهار بطولهِ في تناول الاشياء التي امامهُ وفكها وتركيبها او في القاء السؤالات في المواضيع المختلفة . راقب احدهم ولداً لهُ لم يتم عليهِ الحول الاول من العمر يتحن صائر الباب فكان يجلس يوماً بعد يوم يتسلى بفتح الباب واغلاقهِ . وشاهد آخر ابناً لهُ يبلغ من العمر اربعة عشر شهراً يلعب بصندوق صفيح يرفع غطاءهُ ثم يعيدهُ الى محلهِ وقد فعل ذلك تسعاً وسبعين مرة من غير فترة . وكل من راقب طفلاً رأى ايضاً انهُ لا ينقطع عن الحركة . ثم ان كثرة السؤالات التي يلقيها الاولاد واختلاف مواضيعها دليل على ان عقولهم تعمل دائماً . وما تقدم يؤيد قول الفريق القائل بان حب العمل فطري في الانسان

غير اننا اذا نظرنا الى هذا الطفل المجتهد وقد تجاوز سن الطفولية وجدنا فيهِ تغيراً بيناً يؤيد قول الفريق الآخر وهو ان محبة العمل والاجتهاد خلة يكتسبها الانسان اكتساباً وان اكتسابها لا يكون الاَّ بالضغط الشديد . فاذا زرت المدارس سمعت المعلمين يشكون كسل الطلبة واذا زرت المعامل سمعت الرؤساء يتذمرون من كسل العمال والمستخدمين ومن انهم يضيعون الوقت في ما لا طائل تحتهُ مجتنبين الكد والسعي المتواصل ما امكن . بل اذا راجعت تراجم الذين اشتهروا في العالم رأيت ان الاجتهاد لم يكن طبيعياً في كثيرين منهم بل كان

خلقاً اكتسبوها في الادوار المختلفة التي تعاقبت عليهم . فشارلس دارون الشهير كان شديد الكسل في صباه حتى خشي والده ان يشب على الكسل ويكون عاراً على عائلته . والسر تشارلس لين الجيولوجي الشهير كان يكره العمل على اختلاف انواعه . ويلح الكسل من جيمس رسل لول الكاتب الاميركي سبباً اضطر رؤساء جامعة هارفرد الى اقصائه عن المدرسة . وما تقدم يصدق ايضاً على ضريك هاين والسر همفري دافي وصموئيل جنسن الذي قال انهُ لم يصل الى ما وصل اليهِ من الشهرة الاَّ بضرب المعلم اياهُ ضرباً مبرحاً . وبذاك الكاتب الفرنساوي الشهير قال ايضاً ان الميل الى الكسل لم يفارقهُ حتى في السنوات التي اشتهر فيها بتآليفهِ العديدة بل كانت نفسهُ تحدثهُ دائماً بترك العمل وصرف الوقت على بساط الراحة

ويستنتج مما تقدم عن اجتهاد الاطفال في اول حياتهم ثم انقلاب هذا الاجتهاد الى كسل متى دخلوا المدارس او بدأوا العمل في ميدان العالم ان الاجتهاد غريزي في الانسان والكسل طارئ وان الكسل حالة باثولوجية او بعبارة اخرى انهُ مرض يستدعي المعالجة وان من يبتلى بهِ مريض اولى بالشفقة منهُ باللوم . وقد يجهل انهُ مريض ويرضى عن حالتهِ والرجاء بمن كان كذلك ضعيف . وقد يعلم بحقيقة مرضهِ ويأخذ منهُ الخجل والخوف من افتضاح امرهِ . شكا مرة احد المصابين بهذا الداء امرهُ الى طبيبهِ قائلاً « ابدأ بالشيء ولا اتمهُ اذا خطر على بالي ان اعمل عملاً التهبت حماساً واخذت اعمل فيهِ بجد غير ان الوصول الى الغاية يستدعي المثابرة على العمل وهذا ما لا طاقة لي بهِ ولذلك لم اتم امراً في حياتي . مررت مرة في ضواحي احدى المدن بقطعة ارض قد بنيت عليها جدران ثلاثة منازل او اربعة ولكنها لم تسقف ولم تركب فيها الابواب والشبابيك وقد مضى عليها بضع سنوات وهي على هذه الحال . فقلت في نفسي ما اشبه هذه الارض وهذه المنازل بمعتلي وبما فيهِ من الاعمال التي بدأتها ولم أتمها »

وبديهي ان اول سؤال يخطر على البال بعد ما تقدم هو كيف يمكن الوصول الى معرفة حقيقة هذا الداء واي علاج يجب استعمالهُ لمداواتهِ خصوصاً في هذا العصر الذي اشتد فيهِ العراك في ميدان الحياة . ولو سئلنا هذا السؤال منذ بضع سنوات لما امكننا الاجابة عليهِ بالوضوح التام فان الاعتقاد الذي كان سائداً حينئذٍ هو ان الكسل ضعف في الارادة . نعم ان الكسل ضعف في الارادة ولكن الارادة ذاتها خاضعة للعوامل المادية والمعنوية التي تؤثر في الجسم

وقد بحث العلماء خصوصاً بعض العلماء الفرنساويين في الكسل وكان لما اكتشفوه تأثير مفيد جداً في مداواته . فقد اتضح لهم ان له علاقة مهمة بضعف المجموع العصبي . واعراض هذا الضعف ابطاء القلب في عمله وقلة الضغط في الاوردة وضعف الدورة الدموية . قال تيودول ريبو احد كبار الباحثين في هذا الموضوع « ان دماغ الكسلان لا يقدر على العمل ولو ارادهُ واذا عمل كلَّ حالاً من التعب وهذا هو داء الكسل » وقد ظهر لبعض الباحثين ان منظر الكسالى قد يدل على انهم متمتعون بالصحة التامة ولكنهم كلهم مصابون بضعف المجموع العصبي وليس في امكانهم اجهاد انفسهم كثيراً ولا يقوون على اتمام اكثر من اعمالهم الضرورية الاعتيادية . ولا نعني بما تقدم ان الكسل نتيجة حالة مرضية في بنية كل الكسالى فان الابحاث التي اجراها العلماء قد دلت على ان الكسل غالباً نتيجة خلل في اداء الاعضاء لوظائفها وقد يكون هذا الخلل ناتجاً عن مرض في البنية . فالذين بحثوا في كسل اولاد المدارس وجدوا ان من اهم اسبابهِ العدد التي تنمو في مؤخر الانف (Adenoids) فانها تعيق حركة تنفس الولد كثيراً فتضعف قواهُ الحيوية فيصعب عليهِ العمل العقلي والبدني ويصبح هدفاً لتعييرات والديهِ ومعلميهِ وعقوباتهم في حين ان علاجهُ لا يقوم بضربهِ بالعصا بل بعملية جراحية بسيطة

وقد كانت نتيجة هذه العملية الجراحية البسيطة وافية بهذا الغرض في كثير من الحوادث . عمل احد الاطباء عملية من هذا النوع لابنة في الرابعة عشرة من عمرها فنمت نحو سبعة سنتيمترات في ثلاثة اشهر وتقدمت في دروسها تقدماً يذكر . وراقب احدهم ولداً في التاسعة من العمر نحيف الجسم شاحب اللون كسلان الى حد البلاهة وقد جعلهُ رفاقهُ في المدرسة هزءاً وسخرية فاستأصل الجراح العدد التي في مؤخر انفهِ بعد ان استدل على وجودها بثقل سمع الولد وتنفسهِ من فمهِ فرجع الولد الى المدرسة وقد تحسنت احوالهُ الجسدية والعقلية تحسناً كبيراً

ومن اسباب الكسل امراض العيون خصوصاً طول النظر والمصابون بهِ من الاولاد يظهر كسلهم غالباً في الدرس فقط لا في اللعب لان القراءة تتعب عيونهم ولا تتعبها الالعاب الرياضية . واعراض طول النظر النعاس والتثاؤب ووجع الرأس وقد جاءت معالجة هذا المرض بنتائج مدهشة(١)

(١) (المقتطف) قرأت في مجلة الكلية الاميركية في بيروت ان والداً احضر اليها ولدهُ وكان قد اخرج من مدارس عدة لكسلهِ وطلب ادخاله فيها فلحظ رئيس الكلية ان الولد اعمى فاشترط على الاب لقبول ابنهِ ان يقبل باجراء عملية العيون لهُ . فقبل الوالد بذلك وتغير الولد بعد العملية وصار مجتهداً في دروسهِ

وخلاصة القول ان كل ما يضعف المجموع العصبي يسبب الكسل . وقد يزول الضعف ولا يزول الكسل بزواله لان المصاب يكون قد قام في نفسه انهُ لا يمكنهُ العمل فيزول العارض ويبقى هذا الاعتقاد متمكناً منهُ حتى يتيسر لهُ من يقنعهُ ان السبب الذي كان يمنعهُ عن العمل في الماضي قد زال تماماً . ويتذرع لذلك بالوسائل المادية والادبية اي تحسين صحة المصاب الجسدية وانقاذهُ بالوسائل الاخيرة علماً بان اهم ما تيسر لهُ . والافضل في مثل هذه الاحوال ان يُعوَّد الكسلان على العمل تدريجاً وان تكون ساعات العمل في الاول قليلة حتى لا يكل وان يغرى بالمواعيد ليجد لذة في عملهِ

ومما يفيد ذكرهُ ان الذين كسلهم ناتج عن ضعف البنية قد يشفون منهُ اذا كان لهم ما يغريهم بالعمل من العوامل الادبية او المطامع التي تنسيهم امراضهم وضعف بنيتهم . وافضل مثال لذلك تشارلس دارون فقد تقدم القول انهُ كان مصاباً بالكسل في حداثتهِ ولكنهُ كلف بدرس التاريخ الطبيعي واجتهد في البحث عن اصل الانواع . واعتلت صحتهُ مما قاساهُ في اسفارهِ من المشاق غير انهُ داوم العمل نحواً من اربعين سنة لم يشعر فيها يوماً واحداً ان صحتهُ تامة كباقي الناس واتم من الاعمال ما يقصر عن اتمامهِ كثيرون من اصحاء الابدان . فتغلب على ضعفهِ واقنع نفسهُ ان الجد والعمل ممكنان لهُ

وقد اشار احد الاطباء الذين بحثوا في الكسل بالعلاج الآتي : اذا اردت ان تصلح حال الكسلان فانتخب لهُ العمل الذي يوافق قواهُ ثم حسّن لهُ اتمامهُ واظهر لهُ ما في ذلك من الفخر والثروة وما اشبه . واعِدْ ذلك على مسمعهِ المرة بعد الاخرى حتى يشعر انهُ لا بد من الوصول الى الغاية التي وضعتها نصب عينيهِ . ثم اذا رأيت ذلك منهُ افهمهُ ان الغاية التي ينشدها لا تنال الاَّ بالسعي والجد وانهُ اذا لم يكد ويسعَ تلقفها من امامهِ من هو اكثر منهُ اجتهاداً . وعليهِ فعلاج الكسل يكون اولاً بالتوجيه او جراحيًّا اي بمعالجة جسم الكسلان ثم ادبيًّا اي بطريقة الاستهواء كما تقدم

ومما يحسن ايرادهُ هنا ما اشار بهِ احد الاطباء من وجوب تشجيع الاطفال على مداومة التفكير والقاء الاسئلة عوضاً عن زجرهم واسكاتهم . فالقاء الاسئلة غريزي في الاطفال ويجب ان يستخدم الوالدون هذه الغريزة في تعويد اطفالهم على البحث في المسائل بحثاً منظماً وان يراقبوا صحتهم حتى لا يضعف المجموع العصبي . فاذا قام الوالدون بذلك قلَّ عدد الكسالى كثيراً . فالولد الذي يعتاد الدرس والعمل في طفوليتهِ يبقى الاجتهاد ملازماً لهُ كل حياتهِ . فدواء الكسل ليس العقاب بل العلاج الطبيعي التدريجي

كسلان